الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبدالحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

تجليات الحسّ الاغترابي في كتابات محمّد ديب الشّماليّة - رواية ثلوج من رخام أنموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:
*- إكرام بوباطة
*- وسام فرحات

إشراف الأستاذة:
مريم بوزردة

السنة الجامعية: **2016/2015**

الشكر والعرفان

"ربي أوزعني أن أكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترداه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

[سورة النمل الآية 19]

عرفانا منّا بالفصل فإننا نتقدم بالشكر الجزيل، وعظيم الامتنان لأستاذتنا المشرفة "مريم بوزردة" إذ كانت لنا عونا بعد الله فلم تبخل علينا بالرأي السديد والمشورة وإسداد النصائح، والتوجيهات والملاحظات القيمة، فجزاكِ الله خير الجزاء، ودمت ذخرا وشعاعا لطلبة العلم تضيء دربهم.

كما نتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساعدنا وأسهم في إنجاز هذه الدراسة.

مقدمة

كانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية سابقة تاريخية على نظيرتها المكتوبة باللغة العربية، حيث كانت سنوات الخمسينيات من القرن الماضي فترة تاريخية شهدت ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي محاولة استيطان المجتمع الجزائري الذي كان يمر بمخاض اجتماعي وسياسي عسير، كانت نتيجته سنة 1954م هي انفجار الثورة التحريرية التي وضعت حدا للتواجد الفرنسي بالجزائر، حيث شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة وأثارت بذلك جدلا كبيرا بين النقاد والدارسين، منه من عدها رواية عربية باعتبار مضامينها الفكرية والاجتماعية، ومنهم من عدها رواية جزائرية كتوبة بالفرنسية، باعتبار أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي بها يكتسب الأدب هويته، ومن أهم رواد هذه الرواية "محمد ديب" الذي ارتمى وسط دوامة الاغتراب، حيث ساهم بتطلعاته الناجمة عن صحوة وعي ثاقب في تشكيل تصور نقدي خاص بالوسط الذي يعيش فيه.

والاغتراب ظاهرة قديمة قدم الوجود الإنساني، الفت بظلالها على حياة الإنسان فكريا ونفسيا، وحتى عضويا، ليغترب جغرافيا بجسمه عبر الهجرة من مكان إلا بالانطواء على الذات أو رفض الأعراف الاجتماعية السائدة، أو بإنكار النظام القائم بجميع أيديولوجياته، وأحيانا ينبذ القيم الدينية والروحية، وقد اجتمعت كل هذه الظلال في رواية محمد ديب "ثلوج من رخام" التي كانت مجال بحثنا.

ويعمد اختيارنا لهذا الموضوع إلى بواعث موضوعية وأخرى ذاتية تتمثل في:

- أن هذه الدراسة لم يتطرق إليها أحد ولا تزال الدراسات العربية فيه قليلة، كونها مكتوبة باللغة الفرنسية.
- كون رواية محمد ديب مشحونة بظاهرة الاغتراب.
- اعجابنا روايات محمد ديب لأنها صورة صادقة لمراحل حياته ليعكس صورة مجتمعه وأوضاعه.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الاجتماعي وقد قسمنا الحث إلى فصلين وتضمن كل فصل عناوين رئيسية.

- الفصل الأول تحت عنوان مفهوم الاغتراب وتجلياته، فدرسنا تعريف الاغتراب، الغربة والاغتراب لمقارنة اصطلاحية، أبعاد الاغتراب ومظاهره، أنماط الاغتراب، منطلقات الاغتراب، مفاهيم هيغل وأتباعه للاغتراب.

- أمّا الفصل الثاني فقد خصصناه لتمظهرات الاغتراب في رواية "ثلوج من الرخام" لمحمد ديب، فعرجنا على تمهيد، وأهم تجليات الحس الاغتراب في الرواية (الاغتراب النفسي، الاجتماعي، الأيديولوجي، الروحي).

- وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة عرضنا فيها أهم نقاط هذا البحث.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع، التي أعانتنا على البحث والتحليل، نذكر منها:

كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ومعجم لسان العرب لابن منظور، وكتاب الاغتراب لمحمد عباس يوسف وبعض المراجع المترجمة ككتاب الاغتراب لريتشارد شاخت.

وقد واهتنا صعوبات في البحث هي صعوبة الحصول على المراجع والمصادر وكذلك صعوبة الموضوع ذاته.

وأخيرا وليس آخرا عرفانا منا نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى استاذتنا بوزردة مريم التي لم تبخل علينا بتوجهاتها ونصائحها وتخصيص الكثير من وقتها في الوقوف على جميع مراحل هذا البحث.

الفصل الأوّل:

مفهوم الاغتراب وتجلياته

I/- مفهوم الاغتراب:

1-تعريف الاغتراب:

لغة: الاغتراب افتعال من الغُربة، وقد ذكر في المعاجم العربية بمعنى النزوح عن الوطن، لتقتصر على المعنى المكاني للكلمة فقط، فتغرب فلانٌ يغرُب غربا بمعنى تنحى، وأغربتهُ وغرَبته أي نحَيته، ويقال: غرّب في الأرض وأغرب، إذا أمعن فيها، والغربة: التوى البعيد، يقال: شقت بهم غربة التوى[1] والغربُ: هو المغرب والذّهاب وكذا التّنحي، وأوّل الشيء وحدُه.[2]

وأغرب القوم: أي انتوْا والغرباء هم الأباعد، والغريبُ: الغامض من الكلام، والاغتراب: هو الابتعاد عن الوطن واغتراب الرّجل، نكح في القرائب، وتزوّج إلى غير أقاربه، وفي الحديث النبوي الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: "اغتربوا لا تضووا، أي لا يتزوج الرّجل القرابة". وغوارب الماء أعاليه، والغريبُ: شديد السواد[3]

من خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن معنى كلمة الاغتراب: قد تنوع وتباين من معجم إلى آخر، لكن الملاحظة بين ما ورد لدينا هو: أن لهذا المصطلح دلالة مزدوجة، فقد دلّ على الغربة المكانية أو الجغرافية من جهة، باعتبار أن التغْريب هو النفي عن البلد، أو السّفر والهجرة إلى بلد قريب أو بعيد أي الانتقال من مكان إلى مكان.

كما دلّ على الغربة الاجتماعية من جهة أخرى وهذا ما نكتشفه في الحديث النبوي الشريف لأن نكاح الرّجل من غير أقاربه لا يعني انفصاله عنهم أو قطعه لعرى الوثاق التي تصله بهم.

والاغتراب "Aliénation": شعور قديم قدم وجود الإنساني، ظهر كفكرة ضربت بجذورها في أعماق الذاكرة الإنسانية في الفكر المسيحي والعصور الوسطى، وكذا الكتابات اللاّهوتية ليتّخذ فيما بعد صورًا جدّ معقدة بإنسانيته. وقد أرّخ البعض لاغتراب الفرد منذ

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت، د ط،1980م، ج4، ص410.

[2] –ابو طاهر مجيد الدين محمد الفيروز ابادي: **القاموس المحيط**، تقديم: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، منشورات محمد علي البيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص146.

[3] – ابن منظور الانصاري: **لسان العرب**، الدار المتوسطة للنشر، والتوزيع، تونس، ج1، 2005م، ص(239-249).

تلك اللّحظة التي غربت فيها الجنة عن أب البشرية آدم عليه السلام فانفصل علياته إلى الأرض ليعاني شقاء الحياة وآلامها، أما البعض الآخر من المؤرخين فقد التمس للمصطلح مصادر قديمة تعود إلى فكر الاغريقيين القديم، وتتجلى فيما يعرف بحالة الجذب "Extasis" حيث يسلم الانسان جسمه للشعائر "فيصير بذلك غريبا عن جسمه كأهم شيء يمتلكه، كما اهتم به فلاسفة يونانيون أمثال سقراط وأفلاطون وغيرهم"[1]

2-الغربة والاغتراب (مقارنة اصطلاحية): إن التّمييز بين هذين المصطلحين أمر ليس بالهين نظرًا للتداخل الحاصل بين مفهوميها ومعنييها من جهة، وبين الجانب الشكلي من جهة أخرى، وقد جعل المعجميون العرب كلمة غربة من الفعل" غرب" مساوية للاغتراب من الفعل الماضي المزيد "اغترب" وما هذه الأخيرة إلا انتقال من الغربة، وقد إقتصر مدلول كلمة غربة -في غالب – على الانتقال من مكان إلى مكان آخر. وهذا ما يوافق المصطلح الغربي في اللّغة الإنجليزية "Emigration" على سبيل المثال لا الحصر.

وفي المكتبة العربية وبالأخص السردية القديمة "لم تشكل لدى العرب نظرية فلسفية حول مفهوم الاغتراب، والغربة عندهم تعني الابتعاد عن الوطن"[2]، فهي غربة مادية وما الدافع إليها سوى اللّهث وراء العز بأي ثمن والبحث عن العيش الرّغيد والبال السعيد.

فالتوحيدي ينعطف بالغربة إلى منعطف آخر فيذكر الكلمة بمدلولها الزّماني والمكاني في مقايسة من مقايساته[3] فيقول:"…. فلم يطل دهري في أثنائه متبرحا بطول القرة، وشظف العيش وكلب الزّمان وعجف المال وجفاء الأهل " فعولجت الغربة عند التوحيدي معالجة شخصية في إطار ظروفه وحياته"[4]. وتقصد هنا بأن معاناته كانت حقيقية وصادقة والسبب في ذلك الانهيار النفسي الذي أثقل كاهله لأسباب سياسية في سوء علاقته مع الحكام.

---

[1]- فيصل عباس: **الإغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي**، دار منهل اللبناني، لبنان، ط1، 2008م، ص21.

[2]-يحي بن عبد الله: **الاغتراب، دراسة تحليلية للشخصيات الطاهر بن خلدون الروائية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن: ط1، 2005م، ص23.

[3]- المقابسات عبارة عن مذكرات كان يمتلكها التوحيدي عن مجالسته مع الاعيان والمفكرين.

[4]- أبو حيان التوحيدي: **المقابسات**، تحقيق د. حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1969م، ص102.

ولقد مر مصطلح الاغتراب بعدّة مراحل ودل قبل ذلك على عدّة معان اختلفت باختلاف السياقات وتنوع المعطيات والمقتضيات، ففي القانوني مثلا:" دل على تحوّل الملكية من صاحبها إلى آخر، وسياق نفسي بمعنى انفصال الإنسان عن ذاته ومجتمعه، وديني بمعنى انفصال الذات البشرية عن الذات الإلهية[1]. ليتحول فيما بعد إلى مصطلح فني على يد "هيغل" الملقب بأب الاغتراب، ثم ظهر في العلوم الاجتماعية عام 1935م وبدأ بالتجلي في الأعمال الكلاسيكية السيكولوجية في أواخر القرن 19م ومع نقاد_المجتمع أمثال "هربرت ماركيو".

3-أبعاد الاغتراب ومظاهره:

للاغتراب مظاهر وأبعاد ميزته عن باقي الظواهر والحالات، وقد حصرها الباحثون في خمسة مظاهر، استلهموا بعضها من الدلالات القديمة السابقة لمرحلة أب الاغتراب، أمّا البعض الاخر فقد تم التأسيس له تبعا للمعطيات العصرية التي أكسبت الظاهرة آفاقا أضمت زوايا يتوسل بها لتحليل لعواقب والأعراض الدّالة عليها، وتكمن أبعاد الاغتراب فيما يلي:

3-1-العجز"powerlessness": أشار عالم الاجتماع "ميلفن سيمان" إلى ما يعرف بفقدان السيطرة وسواه بلا قدرة أو العجز، فإن عانى الفرد من العزلة والضياع يفقد بالضرورة التحكم في ذاته وإنفعلاته وممتلكاته، ويحرم من الملكية التي يرى هيجل بأنها "وصف مجرد لا علاقة لها بالإنسان وفيها تتمثل الإرادة الفردية[2].”، ويعجز عن التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها، أي أن الفرد المغترب في نظر سيمان غالباً ما يشعر بأنه لو أراد تحقيق أهدافه فإنه يجب عليه عدم التصرف بموجب المقاييس المتعارف عليها إجتماعياً وأخلاقيا، كأنه يشجع الفرد على التمرد والعصيان بغية تجسيد الذات وبلوغ المراد تحت غطاء الرفض.

---

[1]- محمد عبد المختار: **الاغتراب والتطرف نحو العنف**، دراسة نفسية اجتماعية – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص29.

[2]- حسن حنفي: **في الفكر الغربي المعاصر**، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1990، ص402.

3-2-اللّامعنى "Meaninglessness": إن ضياع المرء في هذا الوجود معناه الانفلات الكلي من كل مقومات كينونته الحقيقية والتي تصبح ضده بأي شكل من الاشكال وحقيقتها إنما تتطلب انتماءه إلى باطنه، ومن ثم إلى واقع العالم من حوله، فلا يعرف بذلك للحياة قيمة أو معنى والسبب فيه هو ضياع المغزى بالنسبة لوجوده الذي يفترض الاندماج والاتصال، وبغياب هذين الأخيرين يجد نفسه في حيز خالٍ من كل بواعث فهم المحيط أو إستعاب فرضية الوجود، فتعطب الحركة الديالكتية بينه وبين واقعه للتعارض الشديد الذي لم يتم قهره إلا بصياغة الوطر وبالتالي ترسيخ البناء القيمي المحقق لمعنى الحياة عموماً.

3-3-تصدع المعايير (اللامعيارية)(normlessness): استند معظم الاجتماعيين في تحديد هذا المفهوم إلى توصيف " دوركايم" للأنومي أو ما يعرف باندثار القيم والمعايير وتشققها، لأنها حالة تسيب المجتمع فتنهار المعايير أو النظم والأنساق التي تنظم السلوك الإنساني وتوجهه أو هي كما يعرفها سيمان" الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن اشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيا غدة مقبولة تجاه أية اهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها اية ضوابط معيارية"[1] وبغياب هذه الضوابط أو القواعد يظهر ما يعرف بالأنومي، والذي يبرز بكونه مظهراً من مظاهر الاغتراب على ثلاثة انماط[2]:

أ- **النمط الأول:** بمعنى غياب القيم التي قد تعطي الغرض أو المرشد للحياة.

ب- **النمط الثاني:** يقصد بهذا النمط عند كل من " دي جرازي" و"هورني" ذاك النوع الراجع إلى صراع المعايير في شخصية الفرد المنطوي على نفسه.

ت- **النمط الثالث:** مشتق من فهم دوركايم" للأنومي باعتبار أن هذا الأخير يتسبب في الشعور بالانفصال عن الجماعة وعن معاييرها.

فالاغتراب هو انعدام للمعايير في النسق الاجتماعي وينجم عنه تباعد شديد بين الأهداف الثقافية للبنية الاجتماعية وبين وسائل المؤسسات والتداخل واضح جداً بين

---

[1]- يحي الجبوري: **الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين الى الاوطان**، مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 2008، ص19.

[2]- علي شتا: **الإغتراب في التنظيمات الاجتماعية**، مكتبة الاشعاع الفنية، مصر، د ط، 1997 ص267.

اللامعيارية أو الآنوميا، وبين الإغتراب وقد فسر ميرتون الآنوميا بأنها:" إغتراب المرء عن الأهداف والقواعد التي وضعها المجتمع"،[1] فلا يهم إذا كان لهذا الفرد مثلا رفاقا أو أصدقاء أو انه قد عاش سعيدا أم تعيسا، بل اغترب هنا لأسباب ودوافع أخرى حتى فقد الانسجام مع المحيط الاجتماعي كوجه عام لامع الافراد، وإذا تلاشت القيم والمعايير فقد الفرد ثقته في ذاته وفي غيره، وصار يعاني الفراغ النفسي والاجتماعي على حد سواء ينطوي على ذاته وبين العالم من حوله وينزلق لامحالة إلى مزالق اليأس والعداء

3-4-العزلة الاجتماعية "SOCIAL ISOLATION ":

وهي مظهر من مظاهر الاغتراب فبعد أن وجد الإنسان بأن علاقته مع حياته الطبيعية والاجتماعية قد آلت إلى علاقة شبيهة بعلاقة الإنسان البدائي بالصنم وهو – الفرد – مجرد مطيع لا خلاص له من الواقع المحتوم والمأزوم، يفتقر إلى الامن والاندماج النفسي فبذلك" حياة عزلة وإغتراب لا يرى من خلالها قيمة كبيرة للأهداف والمفاهيم التي يمثلها أفراد المجتمع."[2] وما رافد هذه العزلة إلا مفارقات هذه الحياة ومعضلاتها العويصة التي إنبثقت من صميم شؤون الحياة وملابساتها، ومعطياتها، مما يجعل الفرد يحس بمسافة كبيرة بينه وبين الاخرين، ولهذه المسافة إنعكاسها وأثرها السلبي على سيكولوجية هذا الإنسان، لأنه في زمان قد فرض الشر فيه بالقوة مهدّداً بذلك الكيان الإنساني ومصيره بتحطيم وإلغاء تفاعله مع بيئته الاجتماعية.

3-5-الانفصال عن الذات "self-estrangement ":

هناك من يرى أن اغتراب الفرد عن ذاته ما هو إلا ابتعاد عن اقرانه من البشر الذين يحيطون به وقد يعود السبب في ذلك إلا ما يعرف بالتفاضل الاجتماعي" private excellence" وهو أن كل انسان يرغب دائما في أن يعيش أفضل حياة ومع أنه اجتماعي فهو ليس كذلك كليةً، لأنه قد يؤثر الوحدة حتى ينعم بالسعادة في مجتمعه بكل حرية ولأن لديه " أفكاراً قد تكون حكيمة أو خرقاء نبيلة أو وضعية مملوءة أو مشحونة

---

[1] ريتشارد شاخت: **مستقبل الاغتراب**، (تر: وهبة طلعت أبو العلا، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2001، ص181.

[2]– يحي الجبوري: **الحنين والغربة في الشعرالعربي ، الحنين الى الاوطان**، ص19.

بالبغضاء."[1] فكل ما يهمه هو تحقيق الطوباوية حتى وإن كان جسر الوصول إليها يناقض مبادئه وينافيها، فيتمرد على نفسه ويؤثر الانصياع إلى كل ما هو بليد بغية رغد العيش ووصول إلى اعلى القمم.

4-أنماط الاغتراب:

4-1- الاغتراب الذاتي(النفسي): إن غاية الفرد في هذا الوجود هي العمل على اثبات ذاته والعيش بكل عفوية وحرية، إلا أن الملابسات القاهرة، والظروف المتناقضة لمبادئه قد تزعزع فيه يقينه بمثالية ذاته أو قدرتها على إدراك حقيقتها فينسلخ منها ويصبح غريبا عنها تماما مما يجعل ذاته الفعلية التي تتضمن مفاهيم والأحاسيس الآراء مسلوبة منه وكذا الحقيقة من خلال السعي الدائم نحو النمو الفردي بشيء من الاصالة وقدرة من القوة، ومن اللازم أن يتسامى المرء بذاته حتى يعزز ثقته بنفسه وفي غيره أيضا لكنه يبقى حائرا لا يعي كنها ذاته ولا يرى للوجود أي معنى، وكأي مدافع لما ذكرناه يعتبر "هورني" الاغتراب عن الذات " وضعنا يتضمن قمع الفردية والعفوية لدى الفرد"[2] فيفقد الفرد بذلك روح الاطمئنان إلى كل ما يحيط به ويفتقر إلى الامن النفسي بل صار يتوسل بالحيطة والحذر حتى ينعم بالهدوء والاستمرار.

والاغتراب هو "الفقد الكلي للإنسانية حسب كارل ماكس ونزعها في مجالات الحياة الاجتماعية والحسية "[3] وهذا راجع إلى الظروف اللاإنسانية التي تعيشها هذه الذات فلا تتضح بذلك الهوية، ولا تعرف حقيقة ما يجب أن تكون عليه، وإذا حاولنا تسليط الضوء على هذا النمط من الاغتراب من خلال تحليل فلسفي للما هوية أو جوهرية الروح الإنسانية يتعين عليه أن نتبنى أراء بعض الفلاسفة بغية إكساب هذه الظاهرة طابعا إطاريا تسير وفق مجاله المحدد فهذا هيجل مثلا يرى بأن تحقيق الطبيعة الجوهرية للإنسان يستدعي استنطاق وجوده في بنية اجتماعية تتضمن انساقا تتوافق وطموحاته، لأن مجرد وجوده غير كافي بل يتطلب التجاوز إلى ما هو أبعد أي الاتصال وتفاعل الضروريين. إلى

---

[1]- برتراند راسل: **السلطة والفرد**، تعريب: شاهر محمود، دار الطليعة بيروت، لبنان، ط1، 1961، ص135.

[2]- فيصل عباس: **الإغتراب**، ص62.

[3]- يحي عبد الله: **الإغتراب**، ص34.

تحقيق الطبيعة الجوهرة للإنسان ==> إنسان (ذات) متوافق مع البنية الاجتماعية والاغتراب الذاتي لصيق بالاغتراب الوجودي إلا أن الأول قد تتحكم فيه النطاقات السيكولوجية في حين يتصدى الثاني لأزمة الهوية حتى يحقق ما يعرف بالكينونة.

إذا الاغتراب الذاتي هو ضياع الفرد وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياته بلا هدف وتصبح بلا معنى كما ينظر إلى هذا الشكل على انه اضطراب نفسي " يشمل اضطراب الشخصية الفصامية"[1] **والشخص الفصامي:** هو ذلك المرء الذي ينفر من إقامة علاقات اجتماعية ومن مسؤولية الطرافة أو الحميمية مع الاخرين.

4-2-الاغتراب الاجتماعي (السوسيولوجي): إن الإنسانية أفق والانسان متحرك إلى أفقه دائما فيستشرف المستقبل الزاهر، ويخلق بذلك عالما نموذجيا خاصا به وما تستدعيه هذه النرجسية الطامحة إلى المثالية المذمومة في بعض الأحيان هو الانفصال عن الواقع والاخرين وتجد الفرد ينزع إلى الجمود وعدم التفاعل مع غيره من الافراد لنقص الالفة وندرة التعاطف والروابط الاجتماعية فيحتمي وسط صراعاته الداخلية من جهة وصراعاته مع المجتمع المناقض لمبادئه من جهة أخرى.

والمجتمع حسب "ماكيفروبيج" عبارة عن " نسق مكون من العرف المنوع والإجراءات المرسومة ومن السلطة المعروفة المتبادلة ومن شتى أوجه ضبط السلوك الإنساني والحريات."[2] فقد تجاوز المجتمع بذلك محدودية جماعة من الناس فقط إلى ما هو أبعد من تنظيمات واتجاهات ووحدة كاملة مكملة، إلا أن اشتقاقها قد يؤدي بالفرد إلى نبذ نواميس السائد الاجتماعي وقد لا يكتفي عند هذا الحد، ولا بمغادرتها فقط وإنما يقوم " بمحاولة إسقاطها إما بتغيير القانون الاجتماعي (...) أو بالتدمير."[3] واستغلال الثورات لا لسدها وإنما لتوسيعها وتحطيم القيود التي تكبله هو فقط ونفض الغبار عن نفسه، ليصبح

---

[1]- عادل القاضي: **الهجرة والاغتراب**، تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص174.

[2]- حسن عبد الحميد أحمد رشوان: **الآدب والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأدب**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط1، 2005/2004، ص283.

[3] - يحي العبد الله: **الاغتراب**، ص80.

صورة مثالية للإنسان البراغماتي الذي يتسلح بالهروب والتملص بغية تحقيق الذات والولوج إلى ساحة الحياة من أوسع الأبواب عبر مفتاح التمرد والعصيان.

وهناك نوعان من الصراع الاجتماعي من حيث مستوياته عمقا بدورهما هذا النمط من الاغتراب (الاجتماعي) وهما: الصراع الداخلي

أ- الصراع الداخلي: وهو الذي يحدث داخل المجتمع الواحد بين الوحدات العرقية أو الفئات الدينية أو الطبقات الاجتماعية وقد تتزايد حدته إلى قيام الثورات الداخلية والحروب الاهلية.

ب- الصراع الخارجي: هو الذي يحدث بين الدول وتستخدم فيه القوة المسلحة.[1]

ولهذه النزاعات أثرها البالغ في تفعيل وتحسين الاغتراب وتعميق الشعور به وظاهرة الاغتراب من الظواهر النسبية التي تختلف باختلاف الزّمان والمكان.

4-3- الاغتراب السياسي: اخذ الاغتراب ابعادا جديدة ووجوها متباينة، كل وجه اختار لنفسه الخانة المنايبة لكي ينمو فيها بتزايد البواعث والمسببات، ولما ظهر النظام الجديد الدولة كذات كبرى، كان من الضروري أن تفعله لتساعد الفرد على المشاركة في هذا النسق، إلا أن لبعض الصراعات السياسية والتعارضات التي تخولها المراكز الحساسة لرجالها في قطاع الدولة وانعكاساتها السلبية على الفرد وعلى المجتمع فارتبط هذا النوع بالمجتمع وسار مظهرا من مظاهر الاغتراب الاجتماعي ويتمثل في " التباعد والتقاعس عن أداء دور لعدم القدرة على التأثير والعجز عن ممارسة أي فعل سياسي"[2]لينسحب المرء من الساحة السياسية للعجز الحقيقي لذي أسابه.

4-4- الاغتراب الأيديولوجي (الفكري) : استعمل الاغتراب ليدل على معانٍ عدّة فهو مثلا شعور ينتاب الفرد ويعبر عن عجزه في التكامل الذي يحقق انسجامه مع الجماعة والمجتمع، كما دل على فقدان القوة (power lessens) والمحيط الخارجي يحل تمفضلات تأثيره الحاصل على الفرد الذي يستحيل عليه أن ينفصل عن بيئته الطبيعية، ولكي تؤدي جماعة معينة من البشر وظائفها الاجتماعية، لا بد من تجميع اراء

---

[1]- نادية عيشور: **الصراع الاجتماعي بين الممارسة**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008، ص64.

[2]- سوهير عبد السلام: **مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز**، دار المعرفة الجامعية الأزا ريطة، مصر، 2003، ص59.

وأفكار توحد وتحدد وجهة وظيفتها وتمكنها من القدرة على المعارضة أو الموافقة وإلا المحايدة في بعض الأحيان وهذه الأفكار تتضمنها ما يعرف بالإيديولوجيا وهذه الأخيرة مجموعة من " تصورات والأفكار المستمدة من مذهب قيمي معتنق ينعقد بمصداقية، حتى تكون قادرةً على صياغة المعايير التي تترجم قوالب مجردة بمقتضاها تصدر الاحكام المعيارية والسلوكية[1] ونزاهة هذه الأفكار تؤدي إلى تكريس المرامي السلمية وتعزيز روح التضامن والانتماء والعمل على ضبط الواقع الاجتماعي حيث " أصبحت صيغة جدلية لوحدة الفكر والممارسة، وثمرة للمعاناة النضالية الفكرية والعلمية."[2]

والإيديولوجيا من منظور مخالف نوعا ما تمثل أحد أبرز سمات الاغتراب لأنها " تتناول الأفكار والقيم التي يظلل بها التطور الحضاري وعي الناس فهي تعكس الواقع الاجتماعي المادي القائم، ذلك لأن الفكر والشعور عبارة عن انعكاس للبقاء الطبقي[3] فهي تتضمن المناخ الفكري والمعتقدات العامة وتملك أيضا أحقية التعبير عن المواقف السياسية والاجتماعية بشتى أنساقها ومختلف توجهاتها فهي على حد تعبير ماركس " البناء الفوقي " لذي يعكس أو يطابق البناء التحتي.[4] والاستلاب الأيديولوجي معناه أن يحس الفرد بتناقض التصورات القائمة مع مبادئه الخاصة التي استقلت بنماذجها المنفردة من التفكير.

4-5-الاغتراب الديني (الروحي): من خلال ما سبق بات واضحا أن الاغتراب قد صار دالا على فقد الإنسانية أو عدم اكتمال التأسن على حد تعبير " ريتشارد شاخت"، إلا أن هذا الإنسان الذي يسعى دائما إلى تلبية حاجاته ويبحث عن الاستقرار النفسي والمادي، لن يجد متنفسه إلا في دينه الذي يغذي روحه ويعوضه ثقل المعاناة ويواسيه محنته مع الحياة، ولما كانت المعرفة الروحية ارقى أشكال النشاط الإنساني كان من الضروري أن يطعم إيمانه بالله تعالى، ويشبع عاطفته الدينية ليحقق وجوده، ويعترف بالعالم الخارجي بدلا من انكاره أو الوصول إلى حالة من العدم، لكن " فيورباخ" يذهب إلى أن الدين في حد ذاته نوع من أنواع اغتراب الإنسان عن نفسه من منطلق أن مفهوم

1- نادية عيشور: **الصراع الاجتماعي**، ص79.

2- إلياس فرج: **تطور الإيديولوجية العربية الثورية – الفكر القومي** –، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط7، 1979، ص11.

3- خالد حامد: **المدخل إلى علم الاجتماعي**، ص79.

4 – المرجع نفسه، ص80.

طبيعة الله ليس سوى مفهوم جوهر طبيعة الإنسان هذا الذي يغترب عن نفسه " كونه يعكس من خلال ايمانه الديني افضل ما لديه، وفي نفسه من صفات على ما هو خارج عن ذاته."[1] وقد قَلَبَ "فيورباخ" التصور التقليدي للذات (منذ ديكارت) في تأسيسه لمفهوم الاغتراب لأنه يؤكد على أن الذات تتسلح بالدين لتاجه حتى وإن كلفها الامر الانسلاخ الكلي منه، لكونها انفعالا وليست فعلا ولا تتحدد بغيرها، وإن انفتاحها على المعنى الباطني للوجود كله يستلزم القدرة على التواصل بين الانا والكون الذي هي جزء منه"[2]

فموقف " فيورباخ" من الدين موقف اغتراب لأنه يفصل الله عن الإنسان الذي اضطلع إلى ثلاث قوى حتى تتغلغل في طبيعته الجوهرية دون عناء؛ كالعقل والإرادة والوجدان.

5-منطلقات الاغتراب: بعد أن تطرقنا إلى توصيف مصطلح الاغتراب وجدنا بأن لهذه الطاهرة أسبابا ادت إلى ظهورها وتفاقمها، فلم تأتي من العدم خاصة وأنها تعلقت بأهم مخلوق ألا وهو الإنسان والتصقت به ويعد بدوره أحد أهم هذه الأسباب، والباعث الرئيسي لها حتى نجمت من جرائها تلك المواقف الإغترابية ومن أبرز منطلقات هذه الظاهرة ما يلي:

5-1-الاجتماعية: لا مناص من أن المواطن الأكبر لأي فرد من الافراد هو المجتمع، لذا فلابد من التأثر والتأثير المتبادل بينهما، ولأننا أمام ظاهرة في ظاهرها سلبية وتعكس نوعاً من التأزم المحتوم لا بد لاندثار القيم وممارستها لتلك الضغوطات " باتجاه التراجع أو باتجاه السكون والمحافظة الأثر البالغ في تجميد التقدم الذي تطمح إليه كل ذات إنسانية"[3] كسعي حديث منها لتجسيد طموحاتها المفعمة بالآمال والخير والتغيير نحو الأفضل، لكن النظام الاجتماعي يسود ليفرض بتناقضاته حالة من عدم التوازن أو الانسجام لما يتضمنه من عوامل مضطربة توقع الافراد في الحيرة والتخبط وحالة التعارض والصراع بين الشعور واللاشعور وبين المكتسب والمورث فيكتئب المرء ويتذمر من هذه القيم السلسة، لأنها تتباين وقيمه الخاصة، يجد نفسه في أحضان عالم غريب رهيب

[1]- حليم بركات: **الاغتراب في الثقافة العربية**، ص 38.

[2]- نصر حامد أبو زيد: **هكذا تكلم ابن عربي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002، ص138.

[3]- سليمان حسين: **مضمرات النص والخطاب، في عالم جبرا إبراهيم جبرا**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999، ص208.

ومجتمع مزي يحمي الرذيلة والتخلف، ويرمي إلى خنق وسلب الحريات، ونظرا للأزمات والصراعات التي جعلت من المجتمع المعاصر مجتمعاً متناقضا كان الضحية الأول والأخير هو الإنسان الذي ولج عالم الأشياء وسيطرت عليه سلطات همشته إلى ابعد الحدود، ودمرت قدراته على التكيف البيولوجي والثقافي مع بيئته الاجتماعية.

وما الانتشار الواسع لهذه الانحرافات المشدودة والسلوكات العنيفة والاجرامية إلا خير دليل على نمو وتفاقم هذه الظاهرة – حسب تفسير "دوركايم" للجرائم الإنسانية. وفقدان صمام الأمان الذي لم يجد لنفسه سبيلا بعد فشله في التحكم بالبواعث التي أدت بدورها إلى ظهور ما يعرف " بالشفاء المجتمعي الذي يعبر عن ارتفاع وتيرة اللاعقلانية في التعامل مع الذات والواقع على حد سواء"[1] ولا يغرب عن ذهن القارء بأن لتفك تركيبة مجتمعاتنا نظرا لصراعات الاجتماعية بمختلف أنواعها ومستوياتها دورها الفاعل في تعقيد هذا النمط الشعوري– الشعور بالانتماء– فالصراعات الداخلية والطبقية داخل المجتمع الواحد تجعل الفرد حائراً وفارا دائما من شيء اسمه تقبل الوضع، أو استعاب ما يحدث، وحتى الصراعات الخارجية تعد اخطر المستويات وأعقدها، التي تؤثر على المرء من خلال امتثاله القسري لضغوطاتها، وبعدها يحرم من مباردة التغيير، وتجسيد الطموح وصنع المستقبل، فيستسلم لافتقاره، وفي عمق ذاته الاستقرار قبل كل شيء فتتحطم بذلك أهدافه واحلامه نظرا لغياب أهم المقومات من امن وسلام، فينطوي على نفسه هروبا من مرارة الواقع الاجتماعي ومن بؤس المال. وفي نقد العالم النفساني "فرويد" للمجتمع البرجوازي رأى بدوره " أن المجتمع يحمل الإنسان آلاماً لا فائدة منها، تخلف مضاعفات بدلا من التحسن المنشود"[2] ومن منظور فرويد نلخص إلى أن للمجتمع أثره السلبي على الفرد، إذ صار مجرد أداة اجتماعية تعيش تحت تصرف ووطأة المعايير الفاسدة فتعاني القمع الذي ضاعف من عزلتها أكثر من تخفيفها.

---

[1]– نادية عيشور: **الصراع الاجتماعي، بين الممارسة**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008، ص107.

[2]– ايريك فروم: **أزمة التحلل النفسي**، (تر: طلال عتريس)، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع –بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص37.

ولأن الغربة ظاهرة اجتماعية فهي "تفرض الشعور بالذات الأخرى إلا أكثر الاشكال الاغتراب تطرفا وكآبة هو ما تعنيه وسط المجتمع"[1] لأن أبرز ما يحقق للفرد هويته وجدواه كإنسان معاصر له كيانه وأحقيته في الوجود هو شعور بالمواطنة وخدمته للعائلة الكبرى (المجتمع)، وقد أكد دوركيام على فكرة " التفكك القيم الاجتماعية والثقافية وفقدان سيطرتها على السلوك الإنساني وضبطه"[2] وتسببها في ظاهرة الاغتراب وانتشارها وعندما تتلاشى القيم المصطبغة بالصبغة التجارية كأنه تباع وتشترى بأرخص الأثمان وأزهدها.

يشعر الفرد حسب لوكاتش "بالتناقض بين قيمة الخاصة والقيم السائدة في مجتمعه"[3] الذي يغلب عليه الطابع المأساوي لما لحقه من فساد وزيف فهو اغتراب فيمي تتعطل فيه الحياة الديكالتية (لانقصد هنا المفهوم الفلسفي للفظة بمعنى الجدلية وإنمّا الجانب التفاعلي الحركي والكامن في الاخذ والعطاء) المفروضة بين الذات وبين الواقع والتي تسمح لهذه الذات بالكشف عن خصب المستقبل واستشراف كل ما هو محقق لكينونتها ونسق حاجتها.

وهذا موقف آخر "لهربرت ماركيوز" يفسر فيها العلاقة الفاترة بين الإنسان والمجتمع وتحول العلاقات الاجتماعية إلى مجرد أشياء مادية تستبقيه حائرا لا يعي الواقع الحقيقي، ولا يفهمه فهو " نابع من الضغوط والتوجهات التكيفية التي يفرضه المجتمع"[4] الذي تحكمه سلطة تحقق التماسك الاجتماعي وأصحابها – السلطة – هم أفراد يحكمون وحدات اجتماعية كبرى وقد يكونون في قمة السلم الاجتماعي ويصلون دون عناء إلى هذه السلطة وما العجز السياسي إلا نتيجة حتمية لانحدار المراقبة الاجتماعية وضعفها فالغاية من ربطنا للمتسلط بالمنزلة الاجتماعية هو تأكيدنا للرأي القائل بأن الاغتراب ما هو إلا مظهر من مظاهر الاغتراب الاجتماعي إلا أن النمط الأول قد استقل بمظاهره ومسبباته.

5-2-السياسية: الإنسان موجود بشري يميزه بالعقل والوعي عن باقي المخلوقات الطبيعية، إلا أن الانفلات منه وخنقه بعض الأحيان قد يؤدي إلى (التيقه) التيه

---

[1]– نيفولاي بردیانق، **العزلة والمجتمع**، (تر: فؤاد كامل عبد العزيز)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1960، ص118.

[2]– حليم بركات: **الاغتراب في الثقافة العربية**، ص 35.

[3] – محمد عباس يوسف: **الاغتراب والابداع النفسي**، ص134.

[4]– سهير عبد السلام: **مفهوم الاغتراب عند ماركيوز**، ص 43.

القسري، والتي تحكمه عدة عوامل تسيطر على نمو وعي هذا الفرد ومن بينها مثلا وجود بعض الأنظمة السياسية التي تسن لنفسها قوانين الفرد ما لا طاقة له به فيشعر حينئذٍ بعدم الرضى أو بالأحرى بعدم الارتياح للقيادة السياسية والرغبة دوما في الابتعاد عنها وعن النظام السياسي برمته.

وتعرف السياسة بأنها الإجراءات والسبل التي تؤدي إلى اتخاذ القرارات من اجل المجتمعات البشرية وقد ترتبط بسياسات الدول وأمور الحكومات، كما يمكن استخدامها أيضا للدلالة على تسيير أي جماعة وقيادتها، ومعرفة أمداد التوفيق بين التوجهات الإنسانية المختلفة والتفاعلات بين افراد المجتمع الواحد بما في ذلك التجمعات الدينية والأكاديمية والعديد من المنظمات، والفرد المغترب سياسيا هو "الذي لديه القدرة على اصدار القرارات المؤثرة على المجال السياسي وكذلك التغييب عن المعايير التي تشكل النظام السياسي"[1] وهو بذلك غائب عن الساحة السياسية، وليس حرا فيصير مقيدا وأسير للدولة، والسبب في ذلك هو انتشار ما يعرف الوعي الوضيع الذي يؤدي بصاحبه إلى الامتثال للسلطة القائمة رغم تمرده الدفين، والدولة هي المسؤولة عنه – الوعي الدنيء– بالدرجة الأولى كمنظومة سياسية فرضت نفسها لتكبل حرية الفرد بالأغلال، نظرا للفساد الذي حل بنظامها فانبرى التعسف والقمع، وما جوهره إلا المصالح الذاتية التي تحسب على حرية الرأي التعبير فيفتقر الفرد إلى الرغبة في المشاركة بالتنظيمات السياسية، وقد يعود هذا الافتقار بالدرجة الأولى إلى الفساد وركاكة علاقات الأنظمة الاجتماعية، وزعزعة العلاقات التواصلية بين الافراد فتزداد المسببات السياسية التي تعمل على نمو الحرية السلبية وفصل قوى الإنسان عن نفسه.

كما تنبغي الإشارة إلى أن استسلام الفرد لهذه السلطة السياسية (لعلنا نقصد هنا المعنى الفضفاض للسياسة حتى نستبعد ارتكازها واقتصارها على مدلول الدولة فقط) وممارسة تلك الحريات الوهمية انما عائد إلى قمع بعض الممارسات السياسية له فيصبح بذلك أنموذجا عدوانيا يؤيد ظهور بعض الرجعيات السياسية التي تسهم في قهر ملمح البناء السياسي أولا، ثم ما يعرف بالوعي النبيل وهو نظام اجتماعي كما عرفه "هيجل" ليستتبع تفاقم هذه العلاقة المغتربة وبشكل رهيب، والسلطة من المعاني التي "تمارس تأثير

[1]– محمد حضر عبد المختار: **الاغتراب والتطرف نحو العنف**، ص35.

بالغا على الاغتراب عن العلاقات"[1] ونحن نسير بها إلى منعطف آخر لا يخص الجانب الذاتي الخاص أو الداخلي، وإنما الجانب الخارجي، والمحيط بالفرد فقد يتسلط الإنسان (الملك، الرئيس، السلطان،.....إلخ) ويصبح أسير انسحابه من العالم والسمو بنفسه بسبب المنزلة التي وصل إليها حتى يسوس أمر الناس ويتجبر وينفصل عنهم لا لشيء سوى لأنه الآمر وهم المأمورون.

وللسلوكات الخارجية السياسية ممارستها القمعية ضد الذات الإنسانية لما جاء المسمار الدكتاتوري المتجسد خاصة ضد المثقف صاحب "الوعي الحقيقي المناقض لعماء السلطة وعماء ديكتا توريتها"[2] والباعث وراء استبداد السياسية حسب "ابن خلدون" هو شدة العصبيات واختلاف الآراء والأضداء وأن وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمانع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت[3] مما جعل المعنى السياسي معنى فضفاضا قابلا لكل تحويل أو تعوير قد يشوب بها – الدولة – ويمس بصرامتها المطلوبة لتدبير الشؤون وتنظيمها.

كما أقر علي شتا–كرأي مدافع – بتأثير السلطة السياسية ذاهبا إلى أن فساد الأنظمة وسوء تدبيرها من شأنه أن يطوق حرية الافراد وتكبت آمالهم خاصة إن تعلق الامر بالجانب العقائدي ليصبح هذا الجانب الروحي (الديني) هو الآخر ضحية بعض الإصلاحات المدمرة، ويتشوه من جرائها ويتجرد من أهدافه النبيلة وحكمه الجليلة ويزيد من رواج هذه الآفة المعقدة، ولكن لا بد من وجود مسببات تتعلق هي الأخرى بالدين تقتضي بالضرورة غرق الإنسان في بحر اللاانتماء.

5–3–الدينية: من المفترض أن الدين قد وجد لينظم حياة الافراد وليسوقهم إلى الفلاح الأبدي إلا أن المؤسسات الدينية قد رسمت لنفسها مسارا فوضويا، ومحكما في الآن نفسه لأنها تتوسل بالدين لترهيب المواطنين من جهة باستغلال بعض المفاهيم الخاطئة والناجمة على سوء فهم هؤلاء للحقائق الدينية الموضوعية لتغذية الجانب الروحي فيهم، وما اغترب الفرد عن ذاته وعن مجتمعه ورفضه للنواميس القائمة والجارية إلا خير دليل على جفاف ايمانه الديني، واعتلال عقيدته التي صارت ميدانا للزيف والتحريف كأن

[1]– علي شتا: **الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية**، ص255.

[2]– سليمان حسين: **مضمرات النص والخطاب**، ص288.

[3]– حليم بركات: **الاغتراب في الثقافة العربية**، ص98.

تصير مؤسسة دينية وتمارس النشاط الخضوعي بشتى أنواعه فترضخ لتواطؤ الأقوياء، وتخدم مصالح الأولياء والأمرين وتأخذ بذلك منحى قد بذلك منحى قد يجردها من روحانيتها ومن قداسة مدوناتها، فالدين سمة روحية والتغذي عليه يعني المسح الشامل لكل المقومات التي تأسست على ضوئها مختلف القوانين التي نظمت سيرورة وتطور الحياة بشتى تمفصلاتها وكذا وجوهها.

5-4-الحضارية: تشهد كل المجتمعات حركات اجتماعية قد تتسم بالتطور والصعود حيناً وقد توصف بالتخلف والانحدار حيناً آخر، إلا أن ما تطمح إليه هو تجاوز العقبات، والتطلع إلى بناء مستقبل متحضر على الصعيد الفردي والجماعي، إلا أنه قد يكون للإنجاز الحضاري أثره السلبي على الوجود الإنساني لأنه من المفترض أن تكون هذه الإنجازات حلاً وخلاصاً للإنسان إلا أنها قد آلت إلى "قيود بتكبيل الإنسان ومحاصرته"[1] فبمثل ما عانت عصور الحضارة الإنسانية من حالات اغترابية قاسية كان للفرد البارز بين بعضها البعض دورها الحاسم في التفعيل وتحسين الاغتراب ليصبح ملازما للمجتمعات والافراد.

والصدمات الحضارية وليدة ظروف مجاورة التي قد تستدعيها في بعض الأحيان خليقة التنافس ولأن الإنسان مفطور على التجاوز والتسامي ولو كان المقابل في ذلك راحته الذهنية أو البدنية أو قهر رغباته، لتفرض الأعباء وتمارس الضغوطات في سبيل قيام الحضرات على حد تعبير "فرويد" فأن الحضارة هي السبب الأول والأخير في اغتراب المرء لأنها "عصابية الطبع تقوم على كبت الغرائز والرغبات"[2] وتتطلب التربع على العرش الضرورة وعدم النزول إلى مرتبة العبد المقهور المتنازل على حقوقه والمتقبل لكل الأوضاع وعدم اشباع حاجاته كما تعمل – الحضارة – بدورها إعاقة عملية " استحلاء رغبات الإنسان وجموحاتها وتهدف إلى القمع الخارجي والداخلي"[3] فحاجتها واشتراطها لبعض التنازعات إلى من شأنها أن تحدث الاضطراب وبالتالي خلخلة الأوضاع وبروز بعض الامراض النفسية إلى ما فتئت أن صارت ارضا خصبة لحالة الاستلاب.

---

[1]– سليمان حسين: **مضمرات النص والخطاب**، ص8.

[2]– محمد عباس يوسف: **الاغتراب والابداع الفني**، ص8.

[3]– فيصل عباس: **الاغتراب**، ص299.

6- مفاهيم هيغل واتباعه للاغتراب:

6-1-المفاهيم الهيغلية: تم اختيار هذا العنوان؛ لأن مفهوم هيغل للاغتراب قد انسحب على باقي الفلاسفة المعاصرين له أو الذين جاؤوا من بعده، لأنه لا يغيب عنّا أن لكتاباته الفضل الكبير في تعميق قضية الاغتراب كظاهرة فلسفية ومن ثم اجتماعية، وكحالة نفسية شعورية يعاني منها كل فرد طوعا أو كراهية، ولان المصطلح أقدم من فلسفته نجد انه قد انطلق من المجادلات التي سبقته أي جهود الفلاسفة القدامى والكتابات اللاهوتية، ليرصد تغيرات دلالة المفهوم، وليصبغه صبغة اعطته ابعادا اعمق وتأثيرات ارحب واكسبنه بعد دلك دلالة مزدوجة تباينت لاختلاف المنطق والخلفية المعتمد عليها في التحديد والتأسيس، فالاغتراب عند هيغل هو "أن يضيع الإنسان شخصيته الأولى ويصير انسان آخر اغنى من الأول، فالإنسان يضيع نفسه عندما يصبح غريبا عنها، أي عندما يفقد حريته، ويصبح مصهورا في مجتمع لا يعترف له بأي استقلال ذاتي"[1] وكان الإنسان مكلف بمهمة صعبة تكمن في البحث عن شيء قد ضاع منه، والمتمثل في ذاته ليقع ضحية الاغتراب الذاتي self est rongement أمّا البحث هنا فيكون "بمحاولة تحديد الهوية بواسطة تحديد خصائصها وجوهرها الشخصي في ضوء ماضيها وحاضرها، وامكانياتها الفكرية والسيكولوجية والفيزيائية"[2] لذا لابد من تشابك الإمكانات السابقة حتى تؤسس لفكرة وحدة الجوهر أو مقاربة كماله، كما يذهب هيغل إلى أت الاغتراب يعد بحق حالة من "اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على ممتلكاته"[3] فبعد أن ربط الظاهرة بذات الإنسان يتوجه وجهة أخرى حتى يربطها بحريته، وذلك بأحقية هذا الوجود البشري في الاستحواذ على ممتلكاته والسيطرة عليها أو في عجزه عن ذلك تماما.

وإذن فقد استخدم هيغل مصطلح الاغتراب بمعنيين اثنين هما:

---

[1]- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ج1، 1982، ص765.

[2]- سمير حجازي: **معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة**، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص173.

[3]- حليم بركات: **الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2006، ص37.

أ- المفهوم اللاهوتي: ويقصد به انفصال الذات عن الجوهر الاجتماعي واغتراب الروح عن ذاته[1] وتحديده لهذا المفهوم كان بالارتكاز إلى ابعد استخدام فكري لكلمة الاغتراب، والذي يعود إلى اللاهوت البروتستانتي المسيحي مع كل من "لوثر" و"كالفن" حيث رفض هذا المذهب – البروتستانتي – فكرة التوسط بين الله والإنسان ونادى بالغربة بين الذات والالهة والذات البشرية[2] وهذا النوع من التمرد والمؤيد لمفاهيم اللاهوتية حاضر في التراث الاغريقي، وبالأخص في فن المسرح الذي ظهر كجزء من عبادات اليونان لينفصل فيما بعد المعابد إلى عامة الناس ومن ثم إلى المتعة الفنية وقد جسد هذه المناهضة على سبيل المثال المسرحي "الشهير بوربيدس" الذي دعا إلى تمجيد الذات البشرية معبرا عن آرائه الدفينة بتقليص دور الالهة في مجموع مسرحياته، وتقزيمها في اعين النظارة لما جعل الالهة "إلكترا" مثلا مجرد فتاة تصول وتجول لجلب الماء كغيرها من الفتيات، وتتزوج فلاحا بسيطا فألغيت بذلك الوساطة والتماهي المبالغ فيه بين الإنسان والإله، وبين كيف انه بالإمكان أن يعيش الفرد اليوناني بعيدا عن الالهة وفي استقلال كلي تام.

وهذا الامر قد نبذه "هيغل" وبشدة حين نادى بضرورة اتصال الإنسان بالله، وانتقد الديانة اليهودية "باعتبارها ديانة تقوم على القهر والاستعباد والفصل بين الله والإنسان واعتبر المسيحية أيضا ديانة تؤدي إلى تغريب الإنسان عن ذاته"[3] ومنه فإن للدين الأثر البالغ في اغتراب الإنسان وابتعاده عن الله بفعل التشدد والخنق، وفرض معتقدات تتنافى ومراده.

ب- المفهوم الفلسفي: ويعني به تنازل الفرد عن استقلاله الذاتي وتوحده مع الجوهر الاجتماعي، وصوما أسماه بالتسليم، والذي وضعه ليقهر به المفهوم السابق بإعادة فكرة التوحد مع البنية الاجتماعية لأن كل موجود بشري اجتماعي بالضرورة على حد تعبيره، وإذا اغترب الإنسان "فهو مغترب بالضرورة إما عن ذاته أو مجتمعه"[4] وهذا ما

---

[1]- زينب محمود شقير: **مقياس الاغتراب النفسي**، ص2.

[2]- فيصل عباس: **الاغتراب**، ص21.

[3]- فيصل عباس: **الاغتراب**، ص64.

[4]- زينب محمود شقير: **مقياس الاغتراب النفسي**، ص2.

ستوضحه المعادلة التالية التي تبين تلازم كل من الاغتراب الذاتي والاجتماعي والعلاقة السببية الجلية بين كليهما وهي كالآتي

اغتراب الإنسان: اغترب عن الذات (الجوهر) واغتراب البنية الاجتماعية ولا طالما ارتبطت فكرة الاغتراب عن هيغل بالاغتراب الذاتي فهو "تلك العملية التي من خلالها يفقد الإنسان جزءا من ذاته في الوجود الخارجي"[1] هذه الفكرة التي يمكن كما يرى "ريتشارد شاخت" إعادة صياغتها بلغة الفشل في تحقيق هذه الذاتية من جانب الافراد الذين حصلوا عليها سواء بسبب منعهم من ممارسة هذه الذاتية أو من خلال الاغراء بالابتعاد عنها[2] ولا ينبغي أن نغفل أن الاغتراب entfremding لدى هيغل حقيقة انطولوجية مرتبطة وبشدة بالوجود وتستمد جذورها من وجود الإنسان في عالم اصبحت فيه كل القيم والاشياء بلا معنى والاغتراب انفصال للإنسان عن ذاته وافعاله وعن الآخرين فتصبح الأشياء غربته فيسقط في نوع من العبودية، على عكس الحرية فهذه الأخيرة هي امتلاك الإنسان لذاته امتلاكا تاما[3]. كما يربط بين اغتراب الفرد والثقافة السائدة على المجتمع "فالفرد يغترب حين يشعر بالتناقص بينه وبين الدولة وبالتالي يولد الشعور بالاستيلاب"[4].

إن هوية وكينونة الفرد كعضو وكجزء في الكل العضوي وهو الدولة – التي يتجسد كيانها العقلي في الوجود العقلي البشري – تتحقق في ذات الكبرى للإنسان التي يجعلها هيغل ذاتا لأحقيتها في الوجود والاستمرارية فخصت بكيان متميز على الفرد الاتصال به، والتواصل معه أو كما يرى بأنها "الكلية الواقعية والعقلية التي ينتمي اليها الافراد، ويكون ذلك عن طريق تحقيق سلطتهم فيها"[5] ومن خلال هذا الرأي يمكن تسليط الضوء على تشكيل وجودي آخر ومحيط فرض سلطته على الفرد كحتمية قاهرة ألا وهي الدولة

---

[1]– فيصل عباس: **مرجع سابق**، ص10.

[2]– ريتشارد شاخت: **مستقبل الاغتراب**، (تر: وهبة طلعت أبو العلاء)، منشاة المعارف الإسكندرية، مصر، 2001، ص250.

[3]– المرجع نفسه: ص(62–63).

[4]– محمد عباس يوسف: **الاغتراب والابداع الفني**، ص7.

[5]– عدنان بن ذريل: **أشكال الاغتراب وتجاوزه، الموقف الادبي**، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1996، ص328.

(المجتمع)، ويعتبرها بدوره النقيض الذي لابد من توسله لقهر الاغتراب، والتغلب عليه ويتم ذلك "بالتسليم أو التخلي عن الإرادة الجزئية الفردية لحساب الإرادة الكلية أو الدولة"[1]

ولا يتم قهر الاغتراب إلا عن طريق التسامي بالذات أو تأطير هدف للوجود الإنساني لتحقيق معنى يكسبه تعبيرات إيجابية متزامنة في كافة الجوانب، وفي شتى الميادين إلى أن وجوده متجاوزاً TRANSEENDENCE للواقع ومتطلعا إلى المستقبل، فيتمتع الفرد بنوع من الضمير السعيد الذي يتجاهل به سلبيات المجتمع ويبررها، فيرى أن المجتمع المعاصر يطيل الحياة ويعمل على تحسينها[2]، كما يربط هيغل العمل الفني بفكرة التحرر من الاغتراب "فالإنسان يفعل هذا (بمعنى انه يبدع) لكي يتمكن كذات حرة سلب العالم الخارجي من غربته"[3] فهو هنا يبرز كيفية التمتع بشكل الأشياء ونسقها، ولكن حقيقة خارجة عن نطاق نفسه وذاته، فلا بد للمبدع أو الفنان أن يغترب ويتملص من ذاته حتى يكسب اعماله طابع الابتكارية والجدية والشفافية في بعض الأحيان، فالجمال والفن بمثابة المنجاة والمخلص الوحيد من حالة الاغتراب عن النسيج الاجتماعي لأنهما حسب هيغل "يهدئان من حزن حالتنا وتحيرات الحياة الواقعية"[4] وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الاغتراب – كما يصور لنا هيغل – ذو طبيعة مزدوجة حيث يستخدم بمصطلحين مختلفين:

1-المصطلح الأول "ENTFREMDUNG" بمعنى الانفصال أو الانقسام وعدم التعرف على الذات وهو معنى سلبي.

2-المصطلح الثاني "ENTAEUSSERUNG" وهو المفهوم الأساسي في ظاهريات العقل الكلي ومعناه التخارج أو التموضع، وهو اغتراب ضروري وايجابي حيث جعل التخارج عملية ميتافيزيقية شرطا لوجود الطبيعة والتاريخ[5].

ثم توالت الجهود بعد هيغل فتنوعت بذلك مفهومات الاغتراب، واكتسبت ابعادا أخرى اختلفت بحسب وجهة نظر الباحثين، فمنهم من فسرها اعتمادا على مرتكزات نفسية

---

[1]- محمد عباس يوسف: **الاغتراب والابداع الفني**، ص10.

[2]- سهير عبد السلام: **الاغتراب عند هربرت ماركيوز**، ص65.

[3]- مجاهد عبد المنعم مجاهد: **حبل الجمال والاغتراب**، دار الثقافة للنسر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997، ص84.

[4]- المرجع نفسه: ص82.

[5]- محمد عباس يوسف: **الاغتراب والابداع الفني**، ص40.

وعلى مقومات التحليل النفسي، فجاء بما يعرف الاغتراب النفسي أمثال "سيغموند فرويد" و"ايريك فروم"، في مؤلفه "الخوف من الحرية" وغيرهم.

مفاهيم الاتباع: تأثر الباحثون بمفاهيم هيغل حول الاغتراب خاصة وأن هذه الظاهرة قد فرضت نفسها وبقوة في ميدان تخصص هؤلاء، لذا تضاربت وتمايزت آراؤهم حول هذه القضية بفعل المنطق المغاير والمستتبع للوازم والنتائج المتوخاة من دراستهم، وقد تم التركيز على أشهرهم، وأقربهم ملامسة لما يخدم مقاربة موضوع البحث.

أ- سيغموند فرويد (الاغتراب والتحليل النفسي):

لا يغيب عنا أن النفساني "فرويد" قد أسس مدرسة التحليل النفسي كنظرية لا تتواءم مع غيرها من النظريات أو تلغيها، وإنما تضيء كثيرا منها وتهتم من خلالها بتمثيل الذات وتجسيدها وبفعالية جادة سلوكاتها وطرق تحويل رغباتها وترجمتها إلى ذاكرة أو فعل لغوي بناء، والتحليل النفسي وجد ليفسر السلوك الإنساني، ويرجعه إلى عوامله واسبابه بالتوسل بنظريات وصل اليها أصحابها "بعد طول نظر وتأمل وتجارب على مختلف الحالات المرضية السائدة كأمراض العصاب مثلا[1] وهناك من يسمى التحليل النفسي بالنشاط اللاشعوري للفكر البشري، وهذا هو الأساس لأن "اللاوعي في مدرسة التحليل النفسي هو نظرية الاغتراب التي يتأسس عليها اغتراب الإنسان المعاصر منذ الطفولة"[2] فيصبح الاستيلاب بعد ذلك خارجا عن الإرادة ونوعا من الاضطراب كسمة أساسية من سمات العصاب، وهذا ما أدى بالسيكولوجيين إلى اعتباره حالة نفسية اختلطت وتطابقت إلى حد كبير مع العديد من الظواهر النفسية كذلك مثل "الاعتكاف والعزلة والانطواء والقلق....."[3]

وقد اعتمد فرويد في تحليله للظواهر الكونية والحوادث التاريخية على شروحات التحليل النفسي رغم ما أعيب عليه في إقراره بأنه لا وجود للفروقات الفردية بين البشر، فتعمقت بحوثه في مكامن الذوات المتشابهة يفسر الاغتراب على انه ظاهرة فردية نشأت نتيجة "للصراع القائم بين الذات وضوابط الحضارة فتتولد لدى الفرد مشاعر الضيق والقلق

---

[1]- ميجان الرويلي: سعد البازغي، **دليل الناقد الادبي، "النقد النفساني والتحليل النفسي"**، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص331.

[2]- أميرة علي الزهراني: **الذات في مواجهة العالم، تجليات الاغتراب في القصة القصيرة على الجزيرة العربية**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2003، ص33.

[3]- محمد عباس يوسف: **الاغتراب والابداع الفني**، ص58.

بسبب تعقيداتها"[1] فإن تعلقت أهواء الفرد الداخلية منها والخارجية بمقتضيات المحيط الاجتماعية والثقافية، تتعارض وتلك الأهواء بعض المظاهر الفاسدة فتقيّد رغباته ليعيش في صراع دائم بين رقيبه الأخلاقي والمتمثل في الأنا والأعلى، وبين وهم الحضارة التي تعد مصدر ومبعث الأمراض النفسية "لأن متطلبات التمدنية جعل الحياة قاسية للغاية بالنسبة إلى أكثرية الناس، فتسهم بدورها في ظهور الأعصبة"[2]

ب- إيريك فروم: يقر ايريك فروم في مؤلفه "المجتمع السعري" بأن الاغتراب نوع من الخبرة، وكأنه نوعية من التجارب التي يساير فيها المرء ذاته فتصح غريبة عنه فيشعر بأنه "عاجز على التحكم في أفعاله فتسوقه وينساق وراءها"[3] يحسب الانفصال عن ذاته الغير حقيقية والمزيفة بفعل الضغوطات الاجتماعية فلا يتماثل مع معايير مجتمعه، بل يأتي بنواميس جديدة تطرحها ذاته الشاذة بسبب عدوانها ورفضها لهذه المعايير.

كما يرى "فروم" بأن الاغتراب عن الآخرين هو "الشرط الضروري لأكثر العلاقات الإنسانية ثراء كالحب الذي يفرض إغترابا مسبقا"[4] فلإقامة روابط وصلات جديدة مع بعض الرفاق لا بد من الانفصال نوعا ما عن كل العوامل، والمؤثرات التي من شأنها أن تعكر صفو هذه الغاية النبيلة في انتقاء أحباب الدرب، وفي نشاط المغترب لا "يشعر الإنسان بنفسه فاعلا لنشاطه، بل لا يشعر بنتاج نشاطه فيشعر به كشيء بعيد عنه جاثم فوقه وضده"[5] وللإشارة فقط استمد هذا الباحث مفاهيمه الخاصة بالاغتراب من أفكار "كارل ماركس" كما اعترف بفضل هذا الأخير عليه لما اكسبه بعض المعارف المنمية لما جاء به من آراء ومنه ونظريات، وفروم يعترف بأن معظم نشاطات الناس في وقتنا سلبية ومختلفة، ويعتبر ظاهرة الاغتراب ظاهرة نفسية تؤدي إلى إحساس رهيب يحسه الفرد

---

[1]- المرجع نفسه، ص58.

[2]- فيصل عباس: **الاغتراب**، ص300.

[3]- زينب محمود شقير: **مقياس الاغتراب النفسي**، ص4.

[4]- محمد عباس يوسف: **الاغتراب والابداع الفني**، ص59.

[5]- ايريك فروم: **الإنسان بين الجوهر والمظهر**، (تر: سعد زهران)، عالم المعرفة، الكويت، 1989،ص83.

ليصبح "غريبا في هذه الدنيا، بل غريبا عن نفسه، لا يشعر أنه مركز العالم أو أنه خالق لعمله متحكم فيه."[1]

وقد استعار "ماركس" مفهومه للاغتراب في الأساس من النزعة الرومنسية "به انفصال الإنسان عن بيئته الطبيعية التي يعد جزءا منها فلا تصبح علاقته بها مباشرة وودية"[2] كما وضعه في إطار اجتماعي "معتبرا أيّاه أثرا سلبيا للظلم الكامن في الحياة الاجتماعية وعلاقات الإنتاج الغير سوية"[3] والتعسف البروليتاري بدا واضحا واعتاد قمع اليد العاملة المنتجة، وحرمانها من ابسط حقوقها فوقعت ضحية الاستغلال الكبير لصالح أصحاب العمل والمشاريع وكذا حاجات السوق التي تتضاعف يوما بعد يوم دونها أدنى اعتبار للطاقة العضوية المقهورة.

وقد تبنى "ماركس" ما ذهب اليه "توكفيل" فرأى بأن الاغتراب "اهدار لقدر الإنسان وحط من فرديته في ظروف المجتمع الحديث الذي تسوده النزعة العلمانية وتقسيم العمل والانفصال عن الأصول التقليدية."[4] ويعتبر بدوره أن السبب في ضياع الوجود الإنساني وتحويل الفرد إلى مجرد "موجود فيزيولوجي يمكن استبداله بأخر إنما هو الاغتراب الذي أدى إلى الحطّ من قيمة الحياة"[5]

وإن كنا نعيش في زمن العولمة، التي كانت عاملا فاعلا أدى إلى تفاقم ظاهرة الاغتراب فماركس آخذ عن "توكفيل" أيضا فكرة تقسيم العمل وربط بذلك انعزال الفرد بالعمل والإنتاج فبرز ما يعرف بالاغتراب الاقتصادي، وهذا ما قام به "دوركهايم" فقد تناول تقسيم عمل الأنومي معتبرا الاغتراب مجرد "اقتلاع للمعايير التقليدية من نفس الفرد."[6] كما شدّد بدوره على فكرة "تفكك القيم الاجتماعية والثقافية وفقدانها السيطرة على السلوك

---

[1]– ايريك فروم: **المجتمع السليم**، (تر: محمد محمود)، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، 1960، ص89.

[2]– خالد حامد: **المدخل إلى علم الاجتماع**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008، ص79.

[3]– محمد عباس يوسف: **الاغتراب والابداع الفني**، ص8.

[4]– علي شتا: **الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية**، مكتبة الاشعاع الفنية، مصر، 1997، ص22.

[5]– حسن حنفي: **في الفكر العربي المعاصر**، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1990، ص431.

[6]– المرجع نفسه: ص22.

الإنساني وضبطها."[1] فنجده يفسر بعض الحوادث الاجرامية كالانتحار مثلا بضياع الفرد في هذا العالم المليء بالتعقيدات وبعجزه على الانسجام والانتماء وانعزاله الكلي عنه.

---

[1]– حليم بركات: **الاغتراب في الثقافة العربية**، ص43.

الفصل الثاني:

تمظهرات ظاهرة الاغتراب في رواية ثلوج من رخام

تمهيد:

صدرت رواية "ثلوج من رخام" لمحمد ديب عام 1990م، باللغة الفرنسية ترجمها "محمد ساري" عند دار منشورات الشِّهَاب عام 2011م، يعدُّ محمد ديب كاتب وروائي وشاعر جزائري (1920-02 ماي 2003)، ولد في تلمسان بالجزائر، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمسقط رأسه، ثم تابع دراسته بالغرب، اشتغل بعدة مجالات منها المحاسبة، الصحة، والتعليم، حيث عين أستاذا بجامعة كاليفورنيا والسوربون، ويعتبر أحد أعمدة الأدب الجزائري وقد عرفت بدايته بالثلاثية الشهيرة (الدار الكبيرة 1952-الحريق 1954-النول 1957) صدر له أكثر من ثلاثين عملا من روايات وقصص قصيرة كان أول كاتب مغاربي تحصل على جائزة الفرانكفونية من الأكاديمية الفرنسية عام 1994م تنويها بأعماله السردية والشعرية. تحصل في السنة 1989م على جائزة الملارمي عن مجموعته الشعرية.

تدور احداث رواية "ثلوج من رخام" عن بطل اسمه برهان من الجنوب أحبَّ امرأة من الشمال بينهما الغابات والسماوات والثلوج الشمالية، تتطور العلاقة فيصبح بينهما رابط الابنة الصغيرة ليبل، قصة زواج مختلط تنتهي فترة الحب ويبدأ التمزق بانفصال يؤدي إلى خسارة الجامع المشترك بينهما والمتمثل في الابنة الصغيرة ليعود الرجل إلى غربته وعزلته من خلال سرقة طفلة من ابيها فيتحول هذا الأخير إلى غريب مزدوج في عينها، فيعيش الرجل اغتراب وتمزق عائلي.

فتكشف لنا "ثلوج من رخام" أحد ملامح الأساسية في تجسيد الصراع الذي يعيشه مع طفولته وهويته ولغته، لنستخلص في الأخير أنها رواية تحكي قصة اغتراب بامتياز، وقد تجلى هذا الاغتراب في:

1-الاغتراب النفسي:

1: الفرد الذي يقول: "أنا هو إنه أنا، أكونه مثل غيري، مثل أي شخص آخر، إن حياتي دالة على هذا، أو إن شئتم؛ ضامنة، إني بمستشفى في عمارة تحوي اثني عشر طابقا، ولكني لست إلا شبه مريض، أنا تحت المراقبة الطبية"← يبن هنا أنه في انعزال حيث يعرف نفسه بنفسه إذ يرى انه مجرد شخص عادي في بلد الآخر يقطن في مستشفى غير وطنه.

2:← نجد شوق وحنين إلى الأم والأهل وهذا يتضح في قول برهان "أعرف ما هو الشيء الذي يفتقد في هذه اللحظة، حياة أمي هناك في بلدي، إنها تموت في هذه الدقيقة".

3: يقول: "أحيانا ينتابني شعور غريب بأنني أحضنها بعينيّ كما لو كانت ذراعين". ← نجد البرهان هنا في هذه الاسطر أنه يشعر بعزلة عن ابنته، فبالرغم من قربها له، إلا أنه يراها بعيدة عنه، فهو يعاني من اضطراب نفسي في علاقته بها.

4: في رواية أخرى يرى برهان نفسه محصورا حائرا بين ابنته ليبل وأمه يقيل في هذا الصدد: "ليبل في طرف، أُمي في الطرف الآخر هناك في بلدي وأنا بينهما". فهو اذن في حالة دهشة وحيرة من أمره.

5: تقول ليبل "هكذا، أنا مهملة، من أهملني ولماذا؟ إلهي كيف لي أن أعرف... في كل مرة يغادرنا، يغيب مدة، كما لو أنه ميت في تلك اللحظات، وحينما يعود إلينا يحي من جديد، لم يذهب بعد، ولكنه سيذهب، لا أكاد اتعرف عليه في اليوم الأول، وليس نفس الاب عندما يعود لا أعرف من أين، من الموت أكيد، لا أعرف أين يوجد، وبعد ذلك أتعرف عليه، إنه من جديد أبي الذي أعرفه".

← في هذه الاسطر تجد ليبل نفسها في صراع داخلي تعاني من تشتت في الهوية فهي تسأل حول مدى معرفتها لأبيها.

6: "أنا ذاهب داخل هذه المتاهة، إنها متاهة هادئة حيث يساوي اليوم بداخلها ألف سنة، وحيث أن ألف سنة هي بمثابة يوم هناك حيث يسلب منك الزمان حقوقك ليجرك حول خسارتك".

← تستنتج هنا أن برهان: في هذه حالة يأس وكآبة غارق في متاهات.

7: يقول بطل الرواية: "لقد خسرت بلدا، أو بالأحرى خسرني بلدي فبحثت عن واحد يقبل التكفل بي". ← هنا إنه في انعزال عن بلده يجد نفسه وحيد وبذلك لا هوية له، وبدون انتماء.

8: يقول: "أبحث دائما عن أرض حيث أضع عليها رجليَّ معاً، كي لا أضطر إلى وضع واحدة هنا وأخرى هناك، حيث أمدِّدُ جسدي مع حجر أحطه فوق رأسي، ستكون في الحياة الدنيا كالغريب، مثلما يقال: أنا أبحث عن أرض ترضى استقبالي".

← يجد برهان نفه في حالة ضياع وتشتت يبحث عن مكان يأويه ويستقبله وليمكث فيه.

2-الاغتراب الروحي:

1: سيخرج من النار من يقول: "لا ربوبية إلا الله".

2: ويتضح ذلك في قول برهان: "جاءت تحت قبعتها الشمية العريضة، بفستانها المكشوف الرقبة والكتفين والذراعين، وسحنتها التي أجّجها توهج هذا اليوم وبعيونها نجوم بلا حد، نجوم تبتسم، روسيا أجمل من أي وقت مضى".

← هنا يبين افتقاده لحشمة المرأة المسلمة، فهو في صدام ديني بين ما هو مباح وما هو محرَّم من خلال كشفها عن ذاتها (جسمها).

3: يبين برهان أنه ابتعد عن دينه فهو في غربة روحية لمقدرته على تخطيه مقابل روسيا وتملصه منه يقول في هذا الصدد: "انتابتني رغبة غامضة أن أضمها ذراعي مندفعا، لأخلص ديني اتجاهها، دون أن اعرف ما هو، أو أن تغفرلي؛ أن تغفرلي، ولكنني لا أعرف أيضا لماذا".

← نستنتج أن همه الوحيد هو أخذ العفران من روسيا.

4: يتساءل برهان عمن يكون في وسط ديانة مختلفة عن ديانته فيقول: "إنه يوم الأحد، وقد نسينا أننا في بلاد اللوثريين، انزعجت روسيا مثلما يحدث لها أن تنزعج أحيانا، إنها ليست لوثرية، أما أنا فحدث ولا حرج، ولكن من أكون تحديداً!؟".

← فهو أمام اعتقاد غير اعتقاده ولا صلة له به.

3-الاغتراب الاجتماعي:

وجود مجتمع مختلف عن مجتمعه (برهان) حيث جاء في لسانه "قلتها ف لغتها، لم تتكرم حتى بالرد علي، حتى في أية لغة".

ويظهر هذا الاختلاف في اللغة من خلال عدم ردها فتبين أن لغة مجتمعها غير لغته حتى لو تحدث بها.

كما يقول برهان "وتوقفت بغتة مقابل الاريكة التي جلسنا عليها بالأمس هي روسيا وأنا" حيث يتوضح انه مجتمع فيه سلطة للأم فلا يستطيع البقاء بمفرده مع ابنته فنجدها مع أمها أو جدتها فتبين من خلال كلامه أنه مجتمع أمومي.

-مصادرة الحقوق الأبوية لبرهان:

يجد برهان أن حقوقه الأبوية قد صدرت وهذا واضح في هذه العبارة "الصمت، الظل، الندى، سيغني طائراً طوال الليل من يريد التفريق بيننا، ولماذا، فهنا محاولة لسلب حقوقه الأبوية.

تتجلى غربة برهان عن ابنته في عدم تربيتها وهذا واضح في هذه الاسطر في الرواية "الردع والقوة في صغرها، واليوم تعيش بمعية أمها".

فهنا يوضح أن سلطة للأم في تربية ابنتها أثناء غربته عنها.

تظل حقوق برهان الابوية مسلوبة منه امام دور روسيا في تربيتها لابنتها ومطابقتها لها في كل الأمور ليجد نفسه غريبا عنها في اللغة والبلد والطعام والاعياد، فتكون بذلك سلطة أموية بامتياز وقد جاء ذلك في لسانه: "سوى أنها لا تعرف إلا بلد

روسيا، إنها لا تتكلم إلا لغة إنها لا تأكل إلا الاطباق الروسية، إنها لا تحتفي إلا بأعياد روسيا، وأشياء كثيرة وحواجز منتصبة بيني وبينها، وإن جميع ما يخصني، أعيادي، أكلي، لغتي، الأشياء التي شكلتني وصيرتني مما أنا عليه، تبقى أجنبية عنها وممنوعة عنها.

بهذا تبقى العوائق تحيل بينه وبين ابنته وكل ما يخصه تبقى أشياء مبهمة لديها فيكون غريب عنها في لغته وأعياده وكل ما يخصه.

اختلاف المواطن والثقافات كما يقول برهان القارة تختلف الثقافات والاسماء ليجد نفسه غريب حتى عن أمه التي يعرف اسمها من بين تلك الأسماء بها وهذا واضح في قوله تعالى "لكن هناك على القارة البعيدة التي تبقى قارتي وقت يا ترى، دون أن اعترف لنفسي بكم هائل من العلم، إلا أنني اعرف الأسماء أيضا كما أنني أعرف اسم تلك التي تحتضر هناك في سريرها، تتزين بأجمل حليها وفساتينها التي لا تقل جمالا وسيكون سرير موتها، أجمل متى؟؟ أجهل كيف؟ ولكنني اعرف ليختفي شخص من دقيقة إلى أخرى هذا عصيّ التصور، مستحيل التصور، الفكر يصبح أعمى، آه، أمي، هذا النور، هذا البحر الخالدة".

4-الاغتراب الإيديولوجي:

يقول برهان: "لقد ذهبت في نزهة اجتماعية مع الطلبة الذين يتابعون دروسها بالأمس، استعجلت ذهابها لتحضر سهرة نظمها بعض الاصدقاء كيف يمكن السكوت، كيف أستطيع السكوت."

يجد برهان طريقة تفكيره مختلفة عن طريقة تفكيرها حيث أن البلد الذي يعيش فيه نظرته للمرأة تختلف عن نظرته، فهو يرى أن المرأة في هذا البلد لا دور للرجل في حياتها.

جاء على لسان بطل الرواية "تتجسد من جديد في شخص أميرة وأنا ابوها الملك اميرة تسود على رأس بلد مجاور لبلدي، العاصمتان المختلفتان كل الاختلاف، عاصمة

من أعتق ما يكون، وعاصمة من أحدث ما يكون، أنا أيضا شيخا مثل عاصمته، لم أغادر مملكته ابدا فهي كل آفاقي."

يتوضح لنا أن العاصمتان أو البلدين مختلفين تماما كل الاختلاف.

خاتمة

في نهاية بحثنا، خلصنا لنتائج عديدة، نلخّصها فيما يلي:

- الاغتراب عن الذّات ناتج عن ظروف الحياة المعاشة في هذا العالم.
- الاغتراب ما هو إلاّ انعدام للحريّة الإنسانيّة.
- الاغتراب عاطفة قد تستولي على المرء ولا سيما الفنانين الذين – ربّما يعيشون في قلق وضياع نتيجة شعورهم بالبعد عمّا يتمنون.
- البعد النّفسي الاجتماعي للاغتراب يمثّل الابتعاد والنّزوح عن الوطن.
- قضية الاغتراب ظاهرة فلسفية ومن ثمّ اجتماعية، وكحالة نفسية شعورية يعاني منها كلّ فرد طوعا أو كرها.
- الاغتراب عبارة عن أوضاع يمرّ بها الإنسان ويصبح من خلالها غريبا أمام نفسه ونشاطه وأعماله، إنّه نوع من تشظي الذّات نتيجة لأزمات اجتماعية تمرّ بها.
- الاغتراب هو انعدام للمعايير في النّسق الاجتماعي وينجم عنه تباعد شديد بين الأهداف والثقافة للبنية الاجتماعية وبين وسائل المؤسسات.
- تشكّلت في الرّواية مجموعة من الأزمات والمشكلات، ممّا ولّدت مظاهر الإغتراب التي عانى منها الفرد، وهذا ما تجسد في برهان بطل الرواية الّذي وجد نفسه في تشتت وإبهام في جلّ نواحي الحياة نتيجة لذلك.
- تجسيد الاغتراب في الرّواية الذي مسّ جميع النّواحي النّفسية والذّاتية والاجتماعية والدّينية والزّمانية والمكانية، وحتّى النّواحي اللّغوية، وهذه المسحة نجدها طاغية وبكثرة.
- وظّفت دلالات ورموز في الرّواية، انطلاقا من تكرار كلمة البياض النّاتجة عن الثّلج، وحتّى في المساحات البيضاء نفسها كانت لها خاصّيتها التي ساهمت في تجسيد الاغتراب بامتياز.

♦ رسمت الرَواية مظاهر عديدة للاغتراب منه: الاغتراب عن الآخرين ونجد هذا واضح في علاقة برهان بابنته، الاغتراب عن المجتمع: حيث نجد الثَقافة الشَمالية مغايرة لثقافة الجنوب، الاغتراب عن الذَات: نتيجة العجز بسبب التَصادم مع المواقف والمشاعر.

♦ توضيح الاختلاف بين المجتمعين الشَمالي والجنوبي النَاتج في مصادرة الحقوق الابوية، حيث نجد أنَه مجتمع أموسي.

قائمة المصادر والمراجع

1: إلياس فرج: **تطور الايديولوجية العربية الثورية – الفكر القومي**–،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

2: إيريك فروم: **الإنسان بين الجوهر والمظهر**، (تر: سعد زهران)، عالم المعرفة، الكويت، 1989.

3: إيريك فروم: **أزمة التحليل النفسي**، (تر: طلال عتريسي)، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، ط1، 1988.

4: إيريك فروم: **المجتمع السليم**، (تر: محمود محمود)، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 1960.

5: أميرة علي الزهراني: **الذات في مواجهة العالم، تحليلات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2007.

6: برتراند راسل: **السلطة والفرد**، (تعريب: شاهر محمود)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1961.

7: جميل صليبا: **المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية**، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982.

8: حسن حنفي: **في الفكر الغربي المعاصر**، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1990.

9: حسن عبد الحميد أحمد رشوان: **الأدب والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأدب**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004–2005.

10: حليم بركات: **الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين العلم والواقع**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2006.

11: أبو حيان التوحيدي: **المقابسات**، (تحقيق: حسن السندوبي)، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1969.

12: خالد حامد: **المدخل إلى علم الاجتماع**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008.

13: الخليل بن أحمد الفراهيدي: **العين**، (تحقيق: مهدي مخزومي، إبراهيم السامرائي)، سلسلة المعاجم والفهارس، مطابع الرسالة، الكويت، ج4، د ط، 1980.

14: ريتشارد شاخت: **مستقبل الاغتراب**، (تر: وهبة طلعة أبو العلا)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2001.

15: زينب محمود شقير: **مقياس الاغتراب النفسي، (مكوناته، مظاهره)**، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، مصر، 2002.

16: سليمان حسين: **مضمرات النص والخطاب، في عالم جبرا إبراهيم جبرا**، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق.

17: سمير حجازي: **معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة**، دار الكتب الجامعية، بيروت، لبنان.

18: سهير عبد السلام: **مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز**، دار الجامعة المعرفية، الأزاريطة، مصر، 2003.

19: عادل القاضي: **الهجرة والاغتراب**، تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة، مؤسسة المعارف والمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

20: عدنان بن ذريل: **اشكال الاغتراب وتجاوزه، الموقف الادبي**، ع304، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 1996.

21: عز الدين جلاوجي: **سلطان النص، دراسات**، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2009.

22: علي شتا: **الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية**، مكتبة الاشعاع الفنية، مصر، 1997.

23: الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، تقديم: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، منشورات محمد علي البيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

24: فيصل عباس: **الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي**، دار المنهل اللبناني، لبنان، ط1، 2008.

25: مجاهد عبد المنعم مجاهد: **جدل الجمال والاغتراب**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997.

26: محمد خضر عبد المختار: **الاغتراب والتطرف نحو العنف**، دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

27: محمد عباس يوسف: **الاغتراب والابداع الفني**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004.

28: ابن منظور الانصاري: **لسان العرب**، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، الجمهورية التونسية، ج1، 2005.

29: ميجان الرويلي: سعد البازغي، **دليل الناقد الادبي**، "**النقد النفساني والتحليل النفسي**"، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص331.

30: نادية عيشور: **الصراع الاجتماعي ين الممارسة**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008.

31: نصر حامد أبو زيد: **هكذا تكلم ابن عربي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002.

32: نيفولاي برديانق، **العزلة والمجتمع**، (تر: فؤاد كامل عبد العزيز)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1960.

33: يحي الجبوري: **الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان**، مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.

34: يحي العبد الله: **الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلدون الروائية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2005.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة
الفصل الأول: مفهوم الاغتراب وتجلياته ص3
1-تعريف الاغتراب: لغة ص4-5
2-الغربة والاغتراب (مقارنة اصطلاحية) ص5
3-أبعاد الاغتراب ومظاهره.....ص6
3-1-العجز "powerlessness" ص6
3-2-اللّامعنى "Meaninglessness" ص7
3-3-تصدع المعايير (اللامعيارية)(normlessness) ص7-8
3-4-العزلة الاجتماعية "SOCIAL ISOLATION " ص8
3-4-الانفصال عن الذات "self-estrangement " ص8-9
4-أنماط الاغتراب.....ص9
4-1-الاغتراب الذاتي(النفسي).....ص9-10
4-2-الاغتراب الاجتماعي (السوسيولوجي).....ص10-11
4-3-الاغتراب السياسي.....ص11
4-4-الاغتراب الأيديولوجي (الفكري).....ص11-12
4-5-الاغتراب الديني (الروحي).....ص12-13
5-منطلقات الاغتراب.....ص13
5-1-الاجتماعية ص13-15
5-2-السياسية ص15-17
5-3-الدينية.....ص17-18
5-4-الحضارية.....ص18
6-مفاهيم هيغل واتباعه للاغتراب.....ص19
6-1-المفاهيم الهيغلية.....ص19-21
أ-المفهوم اللاهوتي.....ص20
ب-المفهوم الفلسفي.....ص20-21

اغتراب الإنسان.....ص21-23
مفاهيم الاتباع.....ص23
أ-سيغموند فرويد (الاغتراب والتحليل النفسي) ص23-24
ب-إيريك فروم.....ص24-25
الفصل الثاني: تمظهرات ظاهرة الاغتراب في رواية ثلوج من رخام ص27
تمهيد ص28
1-الاغتراب النفسي ص29-30
2-الاغتراب الروحي ص30-31
3-الاغتراب الاجتماعي ص31
مصادرة الحقوق الأبوية لبرهان ص31-32
4-الاغتراب الإيديولوجي ص32-33
خاتمة ص34-36
قائمة المصادر والمراجع ص37-40